محاضرة رقم ٣	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	التاريخ
المادة باللغة العربية	فلسفة التاريخ
المادة باللغة الانجليزية	philosophy of history
المرحلة	الثالثة
السنة الدراسية	٢٠٢٣ / ٢٠٢٤
الفصل الدراسي	الأول
المحاضر	د. أحمد محمود حمود
العنوان باللغة العربية	نظريـة العامل الجغرافي
العنوان باللغة الانجليزية	irrespective of the geographical factor
المصادر والمراجع	فلسفة التاريخ – غوستاف لوبون
	ابن خلدون – المقدمة
	فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي – عبد الرحمن بدوي

المحاضرة : الثالثة

نظرية العامل الجغرافي

ارتبطت احداث التاريخ ووقائعه منذ اقدم عهود المعرفة بالبيئة والظاهرة الجغرافية. إذ أن البشر ميالون بحكم نزعاتهم الفطرية الى حب الاستطلاع والتعرف على اماكن غير اماكنهم واساليب اخرى للحياة غير الاساليب المتعارف عليها لديهم . كما أن الأرض بأشكالها المختلفة تبدو بمثابة المسرح الذي قامت عليه الوقائع التاريخية ، وهي تبدو ذات أثر كبير في توجيه مصائر النوع الانساني . ومن هنا غدا للظواهر الجغرافية تأثيرها مع غيرها من المؤثرات في الانسان ومن ثم في التاريخ وذلك تبعا لنوع تفاعله مع بيئته ومواجهته للظروف المحيطة به .

كما رأي بعضهم أن التأريخ بأكمله كان يرادف في مفهومه الجغرافية . اذ ان البشر في الطور البدائي من أطوار الثقافة كانوا يقاسون من طبيعة قاسية وذات سطوة في كل البقاع مما عجزوا عن تفسيرها أو

استغلالها الا ان عدداً كبيراً من الشعوب في جهات مختلفة من العالم قد أفلحت خلال التاريخ وبعد ادراكها لأسرار الطبيعة ان تكيف حياتها شيئاً فشيئاً مع البيئة . وأن كانت قد عجزت عن كبح جماح هذه الطبيعة إلى حد بعيد كما لا يزال لبعض القوى الطبيعية فعلها المؤثر وخطرها القائم في بعض الأصقاع الأرضية كالبراكين والزلازل والعواصف والفيضانات والأوبئة على الرغم من محدودية تأثيرها على النشاط البشري .

ومع أن الباحث في المجالات الجغرافية يدرس الميدان الطبيعي لأحداث التاريخ ، إلا أنه ليس بإمكانه تتبع او تفسير أحداثه المتداخلة والمعقدة . في حين أن المؤرخ يستطيع في نواحي متعددة تعميق دراسته للتاريخ ، فيما اذا أدرك الأسس الجغرافية لمشاكله وأحداثه . وعلى الرغم من ذلك، فإن تفكير الانسان وعمله يحدثان في وسط جغرافي معين ومحدد واضح، وليس في فراغ أو على غير هدى ، مما يوضح طبيعة المجهود البشري بدرجاته المختلفة والمتعددة .

العلاقة بين العامل الجغرافي والحتمية التأريخية

أرجع بعضهم فكرة «الحتمية البيئية» لتفسير التاريخ إلى فلاسفة الأغريق القدماء ومن سار في فلكهم بعدئذ، الذين حاولوا تفسير ظواهر التاريخ في ضوء عامل واحد هو العامل الجغرافي. فهناك من ارجع هذه الفكرة إلى (أبقراط) في : القرن الرابع قبل الميلاد . كما تطرق اليها (افلاطون) و (ارسطو) والمؤرخ اليوناني (هيرودوتس) . وفي مطلع القرن الميلادي الأول أكد العالم الروماني (سترابو) ان الأرض مؤلفة من خمس مناطق (منطقة حارة) لا تلائم العمل المستمر لشدة حرارتها (ومنطقتان باردتان) لا تلائمان العمل المستمر ايضا لشدة برودتهما و (منطقتان معتدلتان) صالحتان للعيش والتقدم . وفي حدود القرن الرابع عشر الميلادي أكد المؤرخ والفيلسوف العربي (ابن خلدون) على اهمية هذه المسألة في كتابة في (المقدمة) . أما أشهر من أكد على هذه النظرية من الأوربيين فهم (جان بودان) و (مونتسكيو) وذلك لوجود تطابق إلى حد ما في عرض أفكارهم عن الحتمية الجغرافية .

عبدالرحمن ابن خلدون (١٣٣٢ – ١٤٠٦م)

لقد تصدى ابن خلدون للبحث في تأثير الاقاليم الطبيعية المختلفة على السلوك البشري والى حد المغالاة في ذلك بعض الأحيان . اذ أشار إلى أن الحياة الاجتماعية ماهي الا ظاهرة طبيعية ، وأن دعائم الحياة تنبثق خاصة من البيئة الجغرافية وتتأثر تأثراً كبيراً بنوع المناخ السائد .

كان من رأي ابن خلدون ان في موقع بلدٍ ما من الشمال (البارد) او الجنوب (الحار) او الوسط

(المعتدل) تأثيراً في البشر وفي نوع الحياة التي يمارسونها وفي تطور المجتمع ذاته (لذا فإن سكان الشمال – حسب رأيه – يتصفون بالشجاعة أن والفضيلة وحسن التفكير ولهم باع في الحضارة وهم أهل للحكم . أما سكان الجنوب فيسود في أوساطهم الكسل والنقص في الشجاعة والميل للهو والبعد عن عوائد الحضارة . وهم بهذا مغلوبون لأهل الشمال ، في حين أن أهل المناطق المعتدلة يتصفون بالاعتدال في أجسامهم واخلاقهم ومعاشهم وفيهم ظهرت الأديان.

وبهذا يخلص ابن خلدون ان الأقاليم المعتدلة أحسن الأقاليم سكاناً كما أشار في معرض آرائه هذه إلى طبيعة الأرض المختلفة من ساحل او داخل ومن سهل او جبل ومن بادية او حضر ومالها من أثر في حياة البشر ، لا بل اوضح ان لكل قطر عادات وصناعات تصبح مع الزمن وبالتدريج خصائص لازمة . تنزل من أهل كل قطر منزلة الطبيعة المميزة لهم من أهل سائر الأقطار . وهكذا يحاول ابن خلدون أن يربط بين البيئة الجغرافية والبيئة الأجتماعية . ثم يقصر طبيعة النشاط البشري على طبيعة الأرض نفسها وما فيها من زراعة او معادن أو غيرها .

كانت أراء ابن خلدون هنا وصفية اكثر مما هي تحليلية ولم تأخذ تطور الظروف والظواهر والمجتمعات بعين الاعتبار . الا انه لم يجزم بأن هذا التفسير الجغرافي هو المسألة الوحيدة التي يمكن عن طريقها أن ننظر إلى المجتمع بل ادخل في تقديره اموراً اخرى كالأديان والأصول البشرية وعوامل غيرها كالعوامل النفسية والاقتصادية .

جان بودان (١٥٣٠-١٥٩٦م)

يعد بودان سلفاً لشارل دي مونتسكيو في تبشيره بـ (نظرية البيئة) ، وتمسكه بمقولاتها . وفي مؤلفه المسمى (الكتب الست عن الجمهورية) ، الذي نشره عام ١٥٧٧ أوضح بودان آراءه في التفسير الجغرافي والمناخي للتاريخ.

لقد تحدث بودان عن وجود أنماط رئيسية للإنسانية . بحيث أن قوانينها ومؤسساتها تستجيب لثلاثة أقاليم مناخية . ربط خلالها بين طبيعة النشاط البشري لسكانها بطبيعة ونوع الحكم السائد فيها . إذ أن منطقة الشمال البارد والناشف بنظره ينتج نمطاً من السكان يمتازون بالبلاهة وضخامة الأجسام إلا أنهم يميلون إلى الديمقراطية في الحكم . أما الجنوب المأهول بالسكان لشدة حرارته : فأهله أناس أذكياء لكنهم يتصفون بالرخاوة والكسل. ومن ثم فهم أعراق تتصف بالسلبية السياسية ويحكمها عادةً نوع من الحكم يتصف بالثيوقراطية – تتكون كلمة ثيوقراطية من كلمتين مدمجتين في اللغة اليونانية هما ثيو وتعني الدين

وقراط وتعني الحكم وعليه فان الثيوقراطية هي نظام حكم يستمد الحاكم فيه سلطته مباشرة من الإله، حيث تكون الطبقة الحاكمة من الكهنة أو رجال الدين الذين يعتبروا موجهين من قبل الإله- وكذلك هذا الحكم يمثل شكل من أشكال الطغيان . في حين أن (الإقليم المركزي) أي المعتدل يكون طقسه لطيفاً , فالملكية هي الشكل المفضل للحكم لديهم . لا بل عذ بودان بلاده - أي فرنسا - هي نموذج على ذلك .

ومن هنا كانت نظريه بودان هذه مبتكرة تعكس طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية لعصره. ولا يمكن تعميمها على المجتمعات الأخرى . وهذا ما دفع الكاتب (أرنست بلوخ) إلى وصف هذه النظرية . بأنها كانت بمثابة النظرة الرجعية المتشددة على الظروف .